فاذ طوها خالدين الحميم المحب المشفق والمطاع مجاز في المشفع لان حقيقة الطاعة
نحو حقيقة الامر في انها لا تكون الا لمن فوقك فان قلت ما معنى قوله ولا شفيع يطاع
قلت يحتمل ان يتناول النفي الشفاعة والطاعة معا وان يتناول الطاعة دون
الشفاعة كما تقول ما عندي كتاب يباع فهو محتمل نفي البيع وحده وان عندك كتابا
الا انك لا تبيعه ونفيهما جميعا وان لا كتاب عندك ولا كونه مبيعا ونحوه ولا ترى الضب
بها ينجحر يريد نفي الضب وانجحاره فان قلت فعلى اي الاحتمالين يجب حمله
قلت على نفي الامرين جميعا من قبل ان الشفعاء هم اولياء الله واولياء الله لا يحبون
ولا يرضون الا من احبه الله ورضيه وان الله لا يحب الظالمين فلا يحبونهم واذا لم يحبوهم
لم ينصروهم ولم يشفعوا لهم قال الله تعالى وما للظالمين من انصار وقال ولا يشفعون
الا لمن ارتضى ولان الشفاعة لا تكون الا في زيادة التفضل واهل التفضل وزيادته انما
هم اهل الثواب بدليل قوله ويزيدهم من فضله وعن الحسن والله ما يكون لهم شفيع
البتة فان قلت الغرض حاصل بذكر الشفيع ونفيه فما الفائدة في ذكر هذه الصفة
ونفيها قلت في ذكرها فائدة جليلة وهي انها ضمت اليه ليقام انتفاء الموصوف
مقام الشاهد على انتفاء الصفة لان الصفة لا تتاتى بدون موصوفها فيكون ذلك ازالة
لتوهم وجود الموصوف بيانه انك اذا عوتبت على القعود عن الغزو فقلت ما لي
فرس اركبه وما معي سلاح احارب به فقد جعلت عدم الفرس وفقد السلاح
علة مانعة من الركوب والمحاربة كانه يقول كيف يتاتى مني الركوب والمحاربة
ولا فرس لي ولا سلاح معي فكذلك قوله ولا شفيع يطاع معناه كيف يتاتى التشفيع
ولا شفيع فكان ذكر التشفيع والاستشهاد على عدم تاتيه بعدم الشفيع وضعا
لانتفاء الشفيع موضع الامر المعروف غير المنكر الذي لا ينبغي ان يتوهم خلافه الخائنة
صفة للنظرة او مصدر بمعنى الخيانة كالعافية بمعنى المعافاة والمراد استراق
النظر الى ما لا يحل كما يفعل اهل الريب ولا يحسن ان يراد الخائنة من الاعين لان قوله
وما تخفي الصدور لا يساعد عليه فان قلت بم اتصل قوله يعلم خائنة الاعين قلت

هو خبر من اخبار هو في قوله هو الذي يريكم مثل يلقي الروح ولكن يلقي الروح
قد علل بقوله لينذر يوم التلاق ثم استطرد ذكر احوال يوم التلاق الى قوله ولا
شفيع يطاع فبعد لذلك عن اخواته والله يقضي بالحق يعني والذي هذه صفاته واحواله
لا يقضي الا بالحق والعدل لاستغنائه عن الظلم وآلهتكم لا يقضون بشيء وهذا تهكم بهم لان ما لا
يوصف بالقدرة لا يقال فيه يقضي او لا يقضي ان الله هو السميع البصير تقرير لقوله يعلم خائنة
الاعين وما تخفي الصدور ووعيد لهم بانه يسمع ما يقولون ويبصر ما يعملون وانه يعاقبهم
عليه وتعريض بما يدعون من دون الله وانها لا تسمع ولا تبصر وقرئ تدعون بالياء والتاء
هم في كانوا هم اشد منهم فصل فان قلت من حق الفصل ان لا يقع الا بين معرفتين
فما باله واقعا بين معرفة وغير معرفة وهو اشد منهم قلت قد ضارع المعرفة
في انه لا يدخله الالف واللام فاجري مجراه وقرئ منكم وهي في مصاحف اهل الشام
وآثارا يريد حصونهم وقصورهم وعددهم وما يوصف بالشدة من آثارهم او اراد
واكثر آثارا كقوله متقلدا سيفا ورمحا وسلطان مبين وحجة ظاهرة وهي المعجزات
فقالوا هو ساحر كذاب فسموا السلطان المبين سحرا وكذبا فلما جاءهم بالحق بالنبوة
فان قلت اما كان قتل الابناء واستحياء النساء من قبل خيفة ان يولد المولود الذي
انذرته الكهنة بظهوره وزوال ملكه على يده قلت قد كان ذلك القتل حينئذ وهذا قتل
آخر وعن ابن عباس رضي الله عنه في قوله قالوا اقتلوا اعيدوا عليهم القتل كالذي كان
اولا يريد ان هذا قتل غير القتل الاول في ضلال في ضياع وذهاب باطلا لم يجد عليهم يعني
انهم باشروا قتلهم اولا فما اغنى عنهم ونفذ قضاء الله باظهار من خافوه فما يغني عنهم
هذا القتل الثاني وكان فرعون قد كف عن قتل الولدان فلما بعث موسى واحس بانه قد
وقع اعاده عليهم غيظا وحنقا وظنا منه انه يصدهم بذلك عن مظاهرة موسى
وما علم ان كيده ضائع في الكرتين جميعا ذروني اقتل موسى كانوا اذا هم بقتله
كفوه بقولهم ليس بالذي تخافه وهو اقل من ذلك واضعف وما هو الا بعض السحرة
ومثله لا يقاوم الا ساحرا مثله ويقولون اذا قتلته ادخلت الشبهة على الناس

Copyright © King Saud University